مجلة الرائد

العدد : ٢٤١ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٢ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين « في الأقصى الشريف »	الكاتب : د. مأمون مبيض

تركت الجنود الإسرائيليين ورائي ، وولجت باب حطّة أحد أبواب المسجد الأقصى . كنت أنقل خطواتي ببطء ، وعلى كتفيّ ثقل التاريخ الطويل لهذا الصرح الكبير ، فالأقصى ليس مجرد مسجد يدخله إنسان ، أو مزاراً لسائح .

جذبتني من النظرة الأولى قداسة المكان المختلطة بتواضعه وبساطته ، ولعل من عجائب الأقصى الكثيرة أنه جمع بين التاريخ العريق والقداسة والجمال مع البساطة ، ويا له من مزيج يندر توفره !! .

مشيت على الطريق المرصوفة بالحجارة ، والمحاطة ببعض أشجار الزيتون التي تضفي على المكان جمالاً وبساطة وقدما . ولا أدري لماذا لاحت في خاطري آية من سورة النور :

﴿ ... **مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ** ... ﴾ [النور : ٣٥]

حاولت أن لا أنظر إلى الأمام كثيراً ، فأنا أريد أن أتعرف على المكان ببطء وهدوء ، صعدت بعض الدرجات الحجرية فإذا بي –ودون إعداد أو تهيئة– أمام صرح قبة الصخرة ، فتذكرت أسرتي في بلفاست حيث صورة القبة على جدار إحدى الغرف . يا له من بناء أيضاً جمع بين القداسة والجمال والبساطة والتاريخ القديم . لفت نظري أنه بناء ممتلئ بالسيدات المتعبدات العفيفات ، فتجاوزته على إطراء ، وأنا أعد نفسي بالعودة إليه في وقت آخر مناسب . سرت خطوات قليلة ، حتى نزلت بعض الدرجات فإذا بي وجهاً لوجه أمام المسجد الأقصى .

امتزج في ذهني وأنا أنظر إلى المسجد الأقصى جمال البناء وتواضعه بسؤال يلحّ عليّ بصراخ هادئ : لماذا تأخرتَ كثيراً حتى وصلتَ إلي ؟ أين كنت كل هذه السنين ؟!

لم أدر بماذا أجيب نفسي ، فخلعت حذائي ودخلت من الباب الخشبي الكبير للمسجد . كان الوقت ضحى ، وكان قد توزع المصلون في أرجاء المسجد بين قارئ للقرآن ، ومصل ، وآخر استسلم لبعض الراحة في يوم من أيام رمضان .

سررت بنظافة المكان ، وحسن ترتيبه ، وجمال عمارته . وكم تأثرت لرؤية محراب المسجد ، المحراب الذي صلى فيه من قبل صلاح الدين الأيوبي .

مجلة الرائد

العدد : ٢٤١ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٢ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين « في الأقصى الشريف »	الكاتب : د. مأمون مبيض

صليت ركعتين خفيفتين تحية المسجد ، وكأني لأول مرة أصلي تحية لمسجد ، وأصارحكم بأني لم أستطع أن لا أفكر بالتاريخ الطويل لهذا المكان . تذكرت إسراء الرسول الكريم ﷺ ومعراجه ، وصلاته بالرسل جميعاً ، وتذكرت عمر فاتح القدس ، وتذكرت سقوط القدس في أيدي الصليبيين ، وابتسمت وأنا أرى صلاح الدين داخلاً المسجد في خشوع امتزج بالقوة والعظمة ، و لم تطل ابتسامتي كثيراً عندما تذكرت الجنود الذين مررت بهم وأنا أدخل باب حطة ، وعندما تذكرت بأن الكثير والكثير من المسلمين في العالم لا يستطيعون زيارة المسجد الذي أسرى إليهم نبيهم ، وفتحه خليفتهم عمر ، وحرره قائدهم صلاح الدين .

خرجت بعد التحية لأتجول في ساحات المسجد . كانت شمس الشتاء لطيفة معتدلة تطل على المسجد وساحاته كما فعلت كل يوم منذ آلاف السنين . لا تستطيع أن تنسى ولو للحظة بأن للمكان تاريخاً لا ينفصل عنه .

مررت في حديقة المسجد بشجرة زيتون عتيقة ، وبجانبها رجل تظهر على وجهه آثار السنين ، إلاّ أن الآثار على جذع شجرة الزيتون كانت أعمق بكثير . (السلام عليكم . كم تقدر عمر هذه الزيتونة يا ترى ؟) سألت الرجل . فأجابني متلهفاً وكأنه كان ينتظر سؤالي : (مئات السنين ، وربما من زمن الرومان) .

تعرّفت على الرجل الكريم ، وعرض عليّ أن يريني بعض جوانب الأقصى ، فرحّبت بذلك شاكراً له . زرت معه الأقصى القديم ، وهو بناء طويل مستقيم يقع تحت المسجد الأقصى تماماً ، وهو في نفس الطول إلاّ أنه أضيق بكثير ، وكان يمتد حتى القصور الأموية في الجهة الجنوبية للأقصى . وقد جدد الأقصى القديم عام (١٩٩٨-١٩٩٩م) بجهد طيب من مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلاميّة ، بعد أن تراكم فيه خلال السنين الطويلة التراب والحجارة ! بينما هو الآن مسجد نظيف مفروش بسجاد تبرعت به تركيا . صليت ركعتين تحية الأقصى القديم وأنا أظن أنه مع الأقصى الذي فوقه يكون قد اكتمل (الأقصى) ، ولكن الأخ الكريم فاجأني بأن هناك جزءاً ثالثاً من المسجد ، وهو ما يسمى بالمصلى المرواني الذي حدثت فيه مجازر الصليبيين وحولوه بعدها إلى إسطبل للخيول ، وأغلقت أبوابه العملاقة لمئات من السنين . وقد كان هناك مخطط لتحويل المصلى المرواني لكنيس يهودي إلاّ أن مؤسسة الأقصى مع هيئة الأوقاف ولجنة إعمار المسجد الأقصى قاموا بتجديد المصلى وتنظيفه وفتح بوابتين عملاقتين ، وبناء درج جديد يؤدي للبوابات . وقد تم هذا بين عامي (١٩٩٩-٢٠٠٠م) فهو الآن مسجد واسع يفخر به المسلم وقد فرش بسجاد تبرعت به مصر ، حيث يعمر الآن بالمصلين والدارسين . وفي آخر المصلى المرواني حجرات حجرية يقول الناس إنّ مريم ابنة عمران قد سكنت فيها عندما كان يرعاها زكريا عليه السلام .

وقد شمل التجديد طبعاً المسجد الأقصى الأساسي بين عامي (١٩٩٦-٢٠٠١م) حيث جدد بلاطه ونظفت جدرانه ، وفرش بسجاد تبرعت به الشارقة . وما يزال العمل جارياً حتى الآن .

مجلة الرائد

العدد : ٢٤١ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٢ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين « في الأقصى الشريف »	الكاتب : د. مأمون مبيض

حقيقة ذهلت من معرفة هذه التفاصيل ، و لم أكن أدرك أو أتصور أن يصل إهمالنا نحن المسلمين للأقصى إلى هذا المستوى من تركه وخاصة الأقصى القديم والمصلى المرواني كل هذه السنوات الطويلة حتى تجمعت فيه الأتربة والحجارة والأوساخ . ولا شك أن هذا يعكس التردي الذي وصلت إليه أمتنا ، ولكنه يعكس أيضاً بداية اليقظة الواعية للمقدسات الإسلاميّة ، وصدق عزيمة الناس على التغيير .

ثم عرّجت على زيارة قبة الصخرة ذات القبة الذهبية اللون ، والتي كانت ممتلئة بالمصليات الطاهرات ، و لم أستطع أن أدخلها إلاّ بعد صلاة فجر اليوم التالي ، وبعد انتظار خروج الأخوات ، فأخذ بيدي الصديق الجراح د. محمد حيث طاف بي في أرجاء البناء ، ونزلنا درجات خفيفة فإذا فوق رؤوسنا الصخرة الكبيرة ذات الفتحة في وسطها ، والتي وقف عليها رسولنا الكريم عندما عرج به إلى السماء . ويا له من مشهد يخفق له القلب أن يقف عند بوابة اتصال الأرض بالسماء ! .

وفي ساحات المسجد هناك عدد كبير يصل إلى العشرات من مصاطب الأقصى ، والمصطبة بناء مسطح حجري بسيط وبلا سقف ، وكان في الماضي يجلس على كل مصطبة عالم أو قاض يلقي درساً أو يعلم الناس ، ومن هؤلاء طبعاً الإمام أبو حامد الغزالي . ويحاول أئمة الأقصى الآن إحياء نشاط هذه المصاطب التي تشكل مدارس للعلم .

وفي ساحات الأقصى أيضاً مصلى عمر حيث المكان الذي صلى فيه الخليفة الثاني ، ومصلى صلاح الدين ، وغيرها من المشاهد والمواقف والآثار كالأبواب المختلفة للأقصى ، والتي تستحق أن يقف عندها الإنسان لأيام وأيام .

وفي اليوم الأخير من زيارتي للقدس كان الصديق د. عبد الرزاق قد رتب لي إلقاء محاضرة في الأقصى ، حيث كان لي شرف تقديم محاضرة (خلق الإنسان بين القرآن والطب) بين صلاتي الظهر والعصر في يوم من أيام رمضان . ويا له من موقف أن يقف الإنسان ليحاضر في محراب صلاح الدين الأيوبي ، إلاّ أن ترحيب المصلين المقدسيين وتشجيعهم ورغبتهم في العلم جعلني أشعر بالطمأنينة وكأني وقفت وتحدثت في هذا المكان مرات ومرات .

إنّ أكثر ما حرّك مشاعري في الأقصى هو أمر غير البناء والحجارة ، هم عمّار الأقصى من المقدسيين وغيرهم . لقد كان المسجد الأقصى في الماضي يعمر بالمصلين من كافة المدن المحيطة بالقدس ، ولكن منذ أن بدأت السلطات الإسرائيلية بمنع المصلين من خارج القدس من القدوم إلى الأقصى ، فقد شعر أهل القدس بمسؤوليتهم الخاصة وبأنهم على ثغر ، فأخذوا على أنفسهم عمارة المسجد بالمصلين وعدم تركه خاليا . وهم يتطلعون في نفس الوقت إلى اليوم الذي يشاركهم إخوانهم من المدن الأخرى هذا الفضل ، ولكن حتى ذلك الحين فهم على هذا الثغر قائمون بتوجيه من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [التوبة : ١٨] .